

أحدهما: أنها مدنية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنها مكية، قاله ابن السائب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ سَوَّاهُ عَلَى عَرْشٍ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
 يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ لَيْلًا فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
 {

قوله تعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أما تسبيح ما يعقل، فمعلوم، وتسبيح ما لا يعقل، قد ذكرنا معناه في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} {الإسراء: 44}.

قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ} قال أبو سليمان الخطابي: هو السابق للأشياء {وَالْآخِرُ} الباقي بعد فناء الخلق {وَالظَّاهِرُ} بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وشواهد الدالة على صحة وحدانيته. ويكون: الظاهر فوق كل شيء بقدرته. وقد يكون الظهور بمعنى العلو، ويكون بمعنى الغلبة. والباطن: هو المحتجب عن أبصار الناظرين، وتجليه لبصائر المتفكرين. ويكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع على ما بطن من الغيوب {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} مفسر في {الْأَعْرَافِ} إلى قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ} وهو مفسر في {سَبَّأ} إلى قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ * أَيَّتَمَّا كُنْتُمْ} أي: بعلمه وقدرته. وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى: {يَا أَللَّهُ وَرَسُولِهِ ثُمَّ} قال المفسرون: هذا الخطاب لكفار قريش {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ} يعني: المال الذي كان بأيدي غيرهم، فأهلكهم الله، وأعطى قريشاً ذلك المال، فكانوا فيه خلفاء من مضي.

{ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ وَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَكَذَلِكَ لِحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * مَنْ دَا لِيذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} {

قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} هذا استفهام إنكار، والمعنى: أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله {وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ} قرأ أبو عمرو «أخذ» بالرفع. وقرأ الباقون «أخذ» بفتح الخاء {مِيثَاقَكُمْ} بالفتح. والمراد به: حين أخرجتم من ظهر آدم {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} بالحجج والدلائل.

قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ} يعني: القرآن {لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ} يعني الشرك {إِلَى} نور الإيمان {وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} حين بعث الرسول ونصب الأدلة. ثم حثهم على الإنفاق فقال: {لَاَرْضِ} أي: أي شيء لكم في ترك الإنفاق مما يقرب إلى الله عز وجل وأنتم ميتون تاركون أموالكم؟ ثم بين فضل من سبق بالإنفاق فقال: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ} وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه فتح الحديبية، قاله الشعبي. والمعنى: لا يستوي من أنفق قبل ذلك {وَقَتْلَ} ومن فعل ذلك بعد الفتح. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

{أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً} قال ابن عباس: أعظم منزلة عند الله. قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها. قال الزجاج: لأن المتقدمين كانت بصائرهم أنفذ، ونالهم من المشقة أكثر {وَكَلَّا وَكَذَلِكَ لِحُسْنَى} أي: وكلا الفرقين وعده الله الجنة. وقرأ ابن عامر «وكل» بالرفع.

قوله تعالى: {مَنْ دَا لِيذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} قرأ ابن كثير، وابن عامر «فيضعفه» مشددة بغير ألف، إلا أن ابن كثير يضم الفاء، وابن عامر يفتحها. وقرأ نافع، وأبو عمرو،

وحمزة، والكسائي «فيضاعفه» بالالف وضم الفاء، وافقهم عاصم، إلا أنه فتح الفاء. قال أبو علي: يضاعف ويضعف بمعنى واحد، إلا أن الرفع في «يضاعف» هو الوجه، لأنه محمول على «يقرض». أو على الانقطاع من الأول، كأنه قال: فهو يضاعف. ويحمل قول الذي نصب على المعنى، لأنه إذا قال: من ذا الذي يقرض الله، معناه: أيقرض الله أحد قرضا فيضاعفه. والآية مفسرة في {البقرة: 245} والأجر الكريم: الجنة.

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ لِيَوْمَ جَاءَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ لِقَاؤُكُمْ لِعَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ رُجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُتْدَوِّهِمْ أَلَمٌ يَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَرَبَّتُمْ وَعِزَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ لِعَزُورٍ * وَليَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ فَدْبِيَّةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَأَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَنَسَى لِمَصِيرٍ {

قوله تعالى: {يَسْعَى نُورُهُمْ} قال المفسرون: يضيء لهم نور عملهم على الصراط على قدر أعمالهم. قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نورا نوره على إبهامه يطفىء مرة، ويتقد أخرى. وفي قوله تعالى: {وَبِأَيْمَانِهِمْ} قولان:

أحدهما: أنه كتبهم يعطونها بأيمانهم، قاله الضحاك.

والثاني: أنه نورهم يسعى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: «في». و«في» بمعنى «عن» هذا قول الفراء.

قوله تعالى: {بُشْرَاكُمُ لِيَوْمَ} هذا قول الملائكة لهم.

قوله تعالى: {أَنْظَرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} وقرأ حمزة: «أنظرونا» بقطع الهمزة، وفتحها، وكسر الضاء. قال المفسرون: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون في نور المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم {قِيلَ رُجِعُوا وَرَاءَكُمْ} في القائل قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون، قاله ابن عباس.

والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور، فيرجعون، فلا يرون شيئا.

والثاني: ارجعوا فاعملوا عملا يجعله الله لكم نورا.

والثالث: أن المعنى: لا نور لكم عندنا {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ} قال ابن عباس:

هو الأعراف، وهو سور بين الجنة والنار {بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ} وهي: الجنة {وَظَاهِرُهُ} يعني: من وراء السور {مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} وهو جهنم. وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون بيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى: وادي جهنم، وبين الباب الذي يسمى: باب الرحمة، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب.

قوله تعالى: {يُتْدَوِّهِمْ أَلَمٌ} أي: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: {أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ} أي:

على دينكم نصلي بصلاتكم، ونغزو معكم؟ فيقول لهم المؤمنون: {بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} قال الزجاج: استعملتموها في الفتنة. وقال غيره: ائتمموها بالنفاق {وَتَرَبَّصْتُمْ} فيه قولان:

أحدهما: تربصتم بالتوبة.

والثاني: تربصتم بمحمد الموت، وقتلتم: يوشك أن يموت فنستريح {وَرَبَّتُمْ} شكيتكم في الحق {وَعِزَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ} يعني: ما كانوا يتمنون من نزول الدوائر {بِالْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} وفيه قولان:

أحدهما: أنه الموت.

والثاني: إلقاؤهم في النار {وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ لِعَزُورٍ} أي: غركم الشيطان بحكم الله وإمهاله {وَلِيَوْمَ لَا يُؤْخِذُ مِنْكُمْ فَدْبِيَّةٌ} وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب «لا تؤخذ» بالتاء، أي: بدل وعوض عن عذابكم. وهذا خطاب للمنافقين، ولهذا قال تعالى: {وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}.

قوله تعالى: {هِيَ مَوْلَاكُمْ} قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم.

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلْ مِنْ لِحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِيفُونَ * أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}

قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا} اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهم: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا.
والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا: حدثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية. وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والخشوع. فأما من كان وصفه الله عز وجل بالخشوع، والرقة، فطبيعة من المؤمنين فوق هؤلاء. فعلى الأول: يكون الإيمان حقيقة. وعلى الثاني: يكون المعنى: «ألم يأن للذين آمنوا» بالسنتهم. قال ابن قتيبة: المعنى: ألم يحن، تقول: أنى الشيء: إذا حان.

قوله تعالى: {أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ} أي: ترق وتلين لذكر الله. المعنى: أنه يجب أن يورثهم الذكر خشوعا {وَمَا تَزَلْ مِنْ لِحَقٍّ} قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «وما نزل» بفتح النون، والزاي، مع تشديد الزاي. وقرأ نافع، وحفص، والمفضل عن عاصم «نزل» بفتح النون، وتخفيف الزاي. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم «نزل» برفع النون، وكسر الزاي، مع تشديدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء «وما أنزل» بهمزة مفتوحة، وفتح الزاي. وقرأ أبو مجلز، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنه بضم الهمزة، وكسر الزاي. و«الحق» القرآن {وَلَا يَكُونُوا} قرأ رويس عن يعقوب «لا تكونوا» بالتاء {كَلِيدِينَ أَوْثُوا لِكَتَبٍ} يعني: اليهود، والنصارى {قَطَالٌ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ} وهو: الزمان. وقال ابن قتيبة: الأمد: الغاية. والمعنى: أنه بعد عهدهم بالأنبياء والصالحين {فَقَسَبَتْ قُلُوبَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ قَسِيفُونَ} وهم الذين لم يؤمنوا ببعسى ومحمد عليهما السلام {عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي:

يخرج منها النبات بعد يبسها، فكذاك يقدر على إحياء الأموات {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ} الدالة على وحدانيته وقدرته {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أي: لكي تتأملوا.
{إِنَّ لِمُصَدِّقِينَ وَآمَنُوا} لَمُصَدِّقَاتٍ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {
قوله تعالى: {إِنَّ لِمُصَدِّقِينَ وَآمَنُوا} قرأ ابن كثير، وعاصم إلا حفصا بتخفيف الصاد فيهما على معنى التصديق وقرأ الباقون، بالتشديد على معنى الصدقة.
قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} اختلفوا في نظم الآية على قولين. أحدهما: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} ثم ابتداء فقال تعالى: {وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين.
والثاني: أنها على نظمها. والواو في «والشهاداء» واو النسق. ثم في معناها قولان: أحدهما: أن كل مؤمن صديق شهيد، قاله ابن مسعود، ومجاهد.
والثاني: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانية نفر سبقوا إلى الإسلام، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك. وفي الشهاداء قولان: أحدهما: أنه جمع شاهد. ثم فيهم قولان. أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد.

والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل.
{عَلِمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِ ثُمَّ يَهِيْجُ فَيَنزِلُ فَتَرَاهُ مُمْصِقًا ثُمَّ يَكُونُ خُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا لِحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ لُّغُرُورٍ * سَابِقًا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

قوله تعالى: {عَلِمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} يعني: الحياة في هذه الدار {لَعِبٌ وَلَهُ} أي: غرور ينقضني عن قليل. وذهب بعض المفسرين إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه، لأن حياته تنقضني على لهو ولعب وتزين الدنيا، وبفاخر قرناهه وجيرانه، وبكآثرهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حله، ويتناول على أولياء الله بماله، وخدمه، وولده، فيفنى عمره في هذه الأشياء، ولا يتلفت إلى العمل للآخرة. ثم بين لهذه الحياة شيئا، فقال: {كَمَثَلِ غَيْثٍ} يعني: مطرا {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ} وهم الزراع، وسموا كفارا، لأن الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره، أي: غطاه {بَبَائِهِ} أي: ما نبت من ذلك الغيث {ثُمَّ يَهِيْجُ} أي: يبس {فَتَرَاهُ مُمْصِقًا} بعد خضرته وريه {ثُمَّ يَكُونُ خُطَامًا} {

أي: ينحطم، وينكسر بعد يبسه. وشرح هذا المثل قد تقدم في «يونس» عند قوله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ لِحْيَوَةِ الْذُنُبَا} [آية:24] وفي «الكهف» عند قوله تعالى: {وَ صَرِبَ لَهُمْ مَثَلُ لِحْيَوَةِ الْذُنُبَا} [آية:45].

قوله تعالى: {وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ} أي: لأعداء الله {وَمَعْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} لأولياءه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكور في [آل عمران:185] إلى قوله: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ} فيبين أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بفضل الله.

{مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} * {لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} * {لَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ لَغَنِيٌّ لِّحَمِيدٍ}

قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ} يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار {وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ} من الأمراض، وفقد الأولاد {إِلَّا فِي كِتَابٍ} وهو اللوح المحفوظ {مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} أن نخلقها، يعني: الأنفس {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} أي: إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل {لَكَيْلًا تَأْسَوْا} أي: تحزنوا على ما {فَاتَكُمْ} من الدنيا {وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} وقرأ أبو عمرو - الا اختيار اليزيدي - بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقر بالمد على معنى: أعطاكم الله منها. وأعلم أنه من علم أن ما قضي لا بد أن يصيبه قل حزنه وفرحه. وقد روى قتيبة بن سعيد قال: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا بفضاء من الأرض فيه من الإبل ما لا يحصى عدده كلها قد مات، فسألت عجوزاً: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تل يغزل الصوف فقلت له: يا شيخ ألك كانت هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي، قلت: فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاه، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ قال نعم، قلت:

لا والذي أنا عبد في عبادته والمرء في الدهر نصب الرزء والحزن

ما سرنى أن إبلى في مباركها وما جرى في قضا رب الورى يكن

وما بعد هذا قد ذكرناه في سورة [النساء:37] والذي قيل في البخل هناك هو الذي قيل لها هنا إلى قوله: {وَمَن يَتَوَلَّ} أي: عن الإيمان {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ لَغَنِيٌّ} عن عباده {لِحَمِيدٍ} إلى أوليائه. وقد سبق معنى الاسمين في [البقرة:267] وقرأ نافع وابن عامر: «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة، والشام.

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا لِحَدِيدٍ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} أي: بالآيات والحجج {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ} بيان الشرائع، والأحكام. وفي «الميزان» قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنه الذي يوزن به، قاله ابن زيد ومقاتل. فعلى القول الأول: يكون المعنى: وأمرنا بالعدل. وعلى الثاني: ووضعنا الميزان، أي: أمرنا به {لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} أي: لكي يقوموا بالعدل. قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا لِحَدِيدٍ} فيه قولان:

أحدهما: أن الله تعالى أنزل مع آدم السندان، والكلبتين، والمطرقة، قاله ابن عباس. والثاني: أن معنى «أنزلنا»: أنشأنا وخلقنا، كقوله تعالى: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ تَمِيمَةً} [الزمر:6].

قوله تعالى: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} قال الزجاج: وذلك أنه يمتنع به، ويحارب به {وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ} في أدواتهم: وما ينتفعون به من آنية وغيرها.

قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ} هذا معطوف على قوله تعالى: {لِيَقُومَ النَّاسُ}، والمعنى: ليتعامل الناس بالعدل وليعلم الله {مَن يَنْصُرُهُ} * وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ} في مواضع. وقوله تعالى: {بِالْغَيْبِ} أي: ولم ير الله، ولا أحكام الآخرة، وإنما يجهد ويثاب من أطاع بالغيب. {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرِّيْنِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ لِكِتَابٍ مِّنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آتَائِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}

قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا اللَّسْبُوءَ وَ لِكِتَابٍ } يعني: الكتب { قَمِيْنُهُمْ } يعني: من الذرية { مَّهْتَدٍ وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ قَاسِقُوْنَ } فيه قولان: أحدهما: كافرون، قاله ابن عباس.

والثاني: عاصون، قاله مقاتل.
قوله تعالى: { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ } أي: أتبعنا على آثار نوح، وإبراهيم، وذريتهما { بَعِيْسَى } وكان آخر أنبياء بني إسرائيل، { وَجَعَلْنَا فِي قُلُوْبِ لِذِيْنَ أُتْبِعُوْهُ } يعني: الحواريين وغيرهم من أتباعه على دينه { رَاقَةً } وقد سبق بيانها [النور:2] متوادين، كما وصف الله تعالى أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: { رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ } [الفتح:29].

قوله تعالى: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا } ليس هذا معطوفا على ما قبله، وإنما انتصب بفعل مضمر، يدل عليه ما بعده، تقديره: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، أي: جاؤوا بها من قبل أنفسهم، وهي غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والميلبس والنكاح والتعبد في الجبال { مَا كَتَبْنَا عَلَيْهْمُ } أي: ما فرضناها عليهم. وفي قوله تعالى: { إِلَّا أُتْبِعَاءِ رِضْوَانِ اللَّهِ } قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها» وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرماني عن قتادة، وزيد بن أسلم.
والثاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: «ما كتبناها» ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعا إلا ابتغاء رضوان الله. قال الحسن:

تطوعوا بابتداعها ثم كتبها الله عليهم. وقال الزجاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفترض عليه، لزمه أن يتمه. قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذره ويوجهه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فاقترضى ذلك أن كل من ابتدع قربة، قولا، أو فعلا، فعليه رعايتها وإتمامها. والثاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله عز وجل، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: { فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ما رعوها لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي.
والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم.

والثالث: لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث، ذكر القولين الزجاج.
والثاني: أنهم الذين ابتعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رعوها بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قوله تعالى: { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا } فيهم ثلاثة أقوال.

أحدها: الذين آمنوا بمحمد { وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ قَاسِقُوْنَ } وهم الذين لم يؤمنوا به.
والثاني: أن الذين آمنوا: المؤمنون بعيسى، والفاسقون: المشركون.

والثالث: أن الذين آمنوا: مبتدعو الرهبانية، والفاسقون: متبعوهم على غير القانون الصحيح.
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلَ لِكِتَابٍ إِلَّا يَفْقِدُونَ عَلَىٰ سَنَاءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ لِفَضْلِ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرِسُولِهِ } عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وامنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم { يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ } أي: نصيبين، وحظين { مِّن رَّحْمَتِهِ } قال الزجاج: الكفل: كساء يمنع الراكب أن يسقط، فالمعنى: يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي. وقد بينا «معنى» الكفل في سورة [النساء:85] وفي المراد بالكفلين ها هنا قولان:

أحدهما: لإيمانهم بمن تقدم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أحدهما: أجر الدنيا، والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: { وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا } فيه أربعة أقوال:

أحدها: القرآن، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: نورا تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: الهدى، قاله مجاهد.

والرابع: الإيمان، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: {لَتَلَّا يَٰعَلَمَ} «لا» زائدة. قاله الفراء: والعرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في آخره أو أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد. والمعنى: ليعلم {أَهْلُ لِكِتَابِ} الذين لم يؤمنوا بمحمد {أَلَا يَفْقِدُونَ} أي: أنهم لا يقدرُونَ {عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ} والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله {وَأَنَّ لِّفَضْلِ بَيْدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} فاتاه المؤمنين. هذا تلخيص قول الجمهور في هاتين الآيتين. وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مسلمة أهل الكتاب الذين {لِكِتَابِ مِّن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا} إلى قوله تعالى:

{أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ} [القصص: 54، 52] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. فعلى هذا يكون الخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي خصكم، فإنه فضلكم على جميع الخلائق. وقال قتادة: لما نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ} الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله تعالى: {لَتَلَّا يَٰعَلَمَ أَهْلُ لِكِتَابِ} الآية.